المحاضرة الثانية (آثار شرقية) د. حسان عبد الحق

آثار العصور التاريخية (عصر السلالات الباكرة).

لقد ظهرت العصور التاريخية في نهاية الألف الرابع ق.، وبداية الألف الثالث ق.م عندما اخترع الإنسان الكتابة. ويعتبر عصر السلالات الباكرة هو العصر الأول في العصور التاريخية، ويمتد هذا العصر من نهاية عصر جمدة نصّر (2900ق.م) إلى زمن قيام الإمبراطورية الأكادية (2350ق.م) وتأتي هذه التسمية من قائمة الملوك السومرية التي أشارت إلى السلالات التي حكمت جنوب بلاد الرافدين في النصف الأول من الألف الثالث ق.م. لقد تم اكتشاف آثار هذا العصر في مواقع كثيرة، أور، والعُبيد، ونيبو، وآشور، وماري، وتل خويرة، ونظراً لتمايز آثار هذا العصر قام المختصون بتقسيمه إلى ثلاثة حُقَب:

1. آثار عصر السلالات الباكرة الأول (2900-2750ق.م):

أ- بناء المعابد: لقد شهد فن عمارة المعابد تغيرات كثيرة في هذا العصر، خاصةً فيما يتعلق بالمادة المستخدمة في البناء وتقنيات البناء، على صعيد المادة الأولية تم استخدام اللبن المربع، وكان هذا النوع يشوى أحياناً ويستخدم بالتبليط لأرضيات المنازل، ولبناء إطارات النوافذ والأبواب لتكتسب متانة أكثر.

كان المعبد في فترات سابقة يبنى على الأرض مباشرةً، أما في هذه الفترة صار الناس يحفرون له الأساسات، وكانوا يضعون في هذه الأساسات أوتاداً، وهي عبارة عن مسامير معدنية يحمل طرفها العلوي شكلاً إنسانياً، تشكل قوة سحرية ضد القوى الخفية التي تريد أن تضر بالبناء.

ومن أهم المعابد التي تعود إلى هذه الفترة، معابد سين التي تنتمي إلى السوية السابعة والسادسة في الخفاجية، بينما تعود المعابد المكتشفة في السويات 1-5 إلى عصر جمدة نصر.

يتكون معبد الطبقة السادسة من ساحة مركزية، يمكن الدخول إليها من درج خارجي عِبْرَ مدخل كبير يخترق حجرة كبيرة ذات شكل مستطيل، تشمل الجهة الشرقية من المعبد، تفضي هذه الساحة المركزية إلى حجرات صغيرة في جنوبها وتفضي أيضاً إلى غرفة كبيرة ذات شكل مستطيل تساعد في الدخول إلى الحرم الرئيسي في المعبد.

ومن المعابد الأُخرى التي شيدت في هذه الفترة، المعبد القديم في تل أسمر (إشنونا) الذي كان يشبه معبد الخفاجية.

ب- صناعة الفخار: تطورت صناعة الفخار في هذه الفترة، فظهرت أوان جديدة تسمى الأواني القرمزية لأنها لونت باللون القرمزي، وقد انتشرت بشكل خاص في تل أجرب والخفاجية، صُنِعت هذه الأواني على الدولاب وزينت بأشكال هندسية وحيوانية وإنسانية (نساء عاريات)، وظهر في هذه الفترة فخار نينوى الذي عُثِرَ عليه في الطبقة الخامسة من نينوى، ويحمل تزيينات بأشكال طبيعية وحيوانية ولون بألوان زاهية.

ج- الأختام الأسطوانية: حدث تغير في النقوش المرسومة على الأختام الأُسطوانية في هذه الفترة، فاختفت في هذه الفترة النقوش ذات المواضيع الدينية، وحلت محلها أشكال نباتية وحيوانية وهندسية، إن سبب اختفاء المواضيع الدينية هو تراجع دور الكاهن كحاكم دنيوي وانفصال السلطة الدينية عن السلطة المدنية.

2. آثار عصر السلالات الباكرة الثاني (2750-2650).

أ- القصور: انفصلت السلطة الدينية عن السلطة المدنية في هذه الفترة، أدى هذا إلى ظهور أول قصر رافدي الذي أصبح مقراً للحاكم في مدينة كيش، بَنى هذا القصر ميساليم ملك كيش.

يتألف قصر كيش من قسمين: شمالي وهو الأقدم وجنوبي وهو الأحدث، يفصل بينهما ممر ضيق، القسم الشمالي يتكون من ساحة مركزية محاطة من جهاتها الأربع بحجرات ذات أشكال مختلفة(مستطيلة ومربعة) ويمكن الدخول إلى هذا القسم من خلال بوابة مزودة بدرج في جهته

الجنوبية الشرقية، وبالنسبة للقسم الجنوبي فهو لا يضم باحة مركزية كما هو الحال في القسم الشمالي، ويختلف عنه أيضاً بأنه يضم قاعات مستطيلة وكبيرة، لعل أهمها تلك التي تتركز في الشرق وفيها قواعد أعمدة كانت تحمل السقف، يضم هذا القسم أيضاً عدد كبير من الغرف والممرات.

ومن القصور الأُخرى التي تؤرخ على هذه الفترة، قصر مدينة إريدو، والقصر الشمالي في تل أسمر يتميز قصر تل أسمر بأنه كان يضم قسماً رسمياً يتألف من باحة مركزية تنفتح على غرفة كبيرة ومستطيلة الشكل هذه الغرفة تنفتح على غرفة أُخرى ذات حجم وشكل مماثل، ولقد تبنت قصور بلاد الرافدين مخطط مشابه في قسمها الرسمي في العصور اللاحقة.

ب- المعابد: ينتمي إلى هذا العصر أربعة معابد رئيسية، معابد سين، والمعبد البيضوي في الخفاجية، والمعبد المربع في تل أسمر، ومعبد شارا في تل أجرب.

سمي المعبد البيضوي بهذا الاسم لأنه أُحيط بسورين بيضويين، لكل منهما بوابة تؤديان إلى المعبد الذي بنى على مصطبة مرتفعة، شُيِّدَ هذا المعبد على قاعدة عميقة من الرمل الأبيض، وتبلغ أبعاد سوره الخارجي 130×74م، وأبعاد سوره الداخلي 74×59م.

يختلف شكل معبد تل أسمر عن شكل المعبد السابق، فقد كان مربعاً وعثر فيه على تمثال الإله أبو سيد عالم النبات، هذا يدل أنه خصص لعبادة هذا الإله، بُني المعبد في فترة سابقة وكان بسيطاً لكنه تطور في هذه الفترة، وأصبح يضم قاعة مركزية تحيط بها من الجوانب ثلاث قاعات، يوجد في كل منها محراب مما يدل على عبادة أكثر من إله في هذا المعبد، وقد عُثِرَ في إحدى قاعاته على واحد وعشرين تمثالاً حجرياً لمتعبدين مطمورة تحت الأرض.

لقد تم الكشف في تل أجرب عن معبد مربع أيضاً 60×60م يتألف من قاعات مربعة كبيرة محاطة بحجرات صغيرة، وبالنسبة لوظائف غرف هذا المعبد فقد كان يضم بيت للكهنة وحرم رئيسي وحرم ثان، عثر في هذا المعبد على الكثير من اللقى الصغيرة المصنوعة من الحجر أو البرونز المقدمة إلى الإله شارا الذي بني هذا المعبد لعبادته.

ج- النحت: تطور فن النحت خلال هذه الفترة، وتم استخدام الحجر الطبيعي لنحت تماثيل لبعض المتعبدين، بهدف وضعها في المعابد للتقرب من الآلهة. تُظهر هذه التماثيل الورع والتقى عند الإنسان المتعبد من خلال وضع يديه على صدره.

ومن التماثيل المكتشفة التي تعود إلى هذه الفترة، تمثال رجل ملتح عُثِرَ عليه في معبد الإله "آبو" في تل أسمر، يتميز هذا الرجل بشعره الطويل الذي يتدلى على جانبي رأسه، ويديه المضمومتين إلى صدره، وبثوبه الطويل الذي يغطي نصفه السفلي وبقدميه الضخمتين، وتدل تعابير وجهه على الورع والطاعة.

عُثِرَ أيضاً على تمثالين آخرين لرجل وامرأة، يتميز تمثال الرجل بأن اليدين المضمومتين إلى الصدر تحملان إناءً صغيراً، وبأن العينين واسعتين ومطعمتين، واللحية مخروطية الشكل، وشعر الرأس مدلى على الكتفين بشكل متدرج، أما تمثال المرأة يظهر ثوتاً طويلاً ملقى فوق الكتف الأيسر، يكشف عن الثدي واليد اليمنى، ويتميز الرأس بالاستدارة وبالعينين الواسعتين والفم والأنف الصغيرين.

د- اللوحات النذرية: هي عبارة عن قطعة من الحجر الكلسي ذات شكل مربع أو مستطيل كانت تثبت على جدران القصور أو المعابد وكانت مقسمة إلى عدة أجزاء، ونقش على هذه الأجزاء موضوعات أسطورية ودينية كموضوع الوليمة المقدسة الذي يظهر الزواج المقدس بين الملك وكبيرة الكاهنات، ويرمز هذا الزواج إلى استمرار الخصب والخير عند الكائنات الحية.

ومن اللوحات الأخرى التي تقدم موضوعاً دينياً تلك المكتشفة في الخفاجة، مقسمة إلى ثلاث أجزاء الجزء العلوي يظهر لنا ملك وملكة كل منهما جالس على عرشه، ويوجد بينهما عدد من الخدم، أما القسم الوسط من اللوحة يظهر لنا أشخاصاً يحملون التَقدُمات على أكتافهم ورؤوسهم ويسوقون حيواناً أمامهم كأضحية، أما القسم السفلي الذي لم يبق منه شيء إلا جزء صغير فيظهر أربعة حمير تجر عربة، نقلت الملك والملكة إلى مكان للاحتفال.

إضافةً إلى الموضوعات الدينية تظهر لوحات نذرية أخرى موضوعات كحماية الإنسان البطل للحيوانات الأليفة من الحيوانات المفترسة حيث يظهر هذا الإنسان بجسد إنسان وبرأس ثور ليجمع بين القوتين وهو يهاجم نسر برأس أسد.

وهناك لوحات أخرى تعرض موضوعات مختلفة كتلك التي عُثِرَ عليها في تل أجرب، فهي تظهر في القسمين العلويين مشاهد من الوليمة المقدسة وفي القسم السفلي إنساناً يهاجم أسداً.

هـ- الأختام الأسطوانية: تأثرت الأختام الأُسطوانية باللوحات النذرية في هذه الفترة، فقد نُقِشَت عليها نفس الموضوعات التي تناولتها اللوحات النذرية كالولائم المقدسة ودفاع الإنسان البطل عن الحيوانات الأليفة وحمايتها من الحيوانات المفترسة.

3. أثار عصر السلالات الباكرة الثالث (2650-2350)

عثر الآثاريون على الكثير من القطع الأثرية التي تعود إلى هذا العصر، ولعل أهمها تلك التي عُثِرَ عليها في القبور والقطع الفنية المعدنية والأواني الفخارية والتماثيل المنحوتة.

أ- مقبرة أور الملكية: تعد هذه المقبرة من أهم المكتشفات التي تعود إلى هذه الفترة، فقد قدمت معلومات كثيرة عن دفن الموتى في سومر، كانت تضم أور نوعين من القبور: قبور ملكية وقبور عادية، وكانت تتألف القبور الملكية من عدة حجرات تحت الأرض مبنية من الطوب والحجارة.

معظم القبور نُهِبَت ولم يبقَ إلا قبر الملكة بو آبي الذي كان يضم الكثير من الأشياء، وكان قسم كبير من هذه الأشياء موضوعاً على رفوف خشبية، ومن الأشياء التي تم العثور عليها هنا خاتم أسطواني من اللازورد يحمل اسم الملكة، وجثة الملكة، التي كانت تضع مشطاً كبيراً على رأسها مطعماً بالعقيق وارتدت الملكة رداءً وحزاماً من اللآلئ وثبت الرداء على الذراع الأيمن بوساطة ثلاث إبر ذهبية. وعند الذراعين كان يوجد تمائم ذات أشكال حيوانية، وإلى جانب الجثة عُثِرَ على تاج ذو تزينات ذهبية حيوانية، وعُثِرَ أيضاً على أدوات ذهبية وفضية وحجرية، وعُثِرَ في نفس القبر على جثث لعساكر ووصيفات الملكة وبعض الخدم والعبيد.

وفي مدفن آخر كان يرقد الملك ميشكلام دوغ صاحب الخوذة الذهبية الذي وُجِدَ اسمه منقوشاً عليها، وعلى مصباح ذهبي وُضِعَ معه.

وعُثِرَ على جثث أُخرى في مدفن آخر وضمت مقبرة أور كنوزاً أخرى، لعل أهمها تمثالاً لرأسين من الماعز من الذهب واللازورد.

ب- فن التطعيم وصياغة المعادن الثمينة: قدمت مقبرة أور الملكية الكثير من القطع الفنية التي تدل على براعة الحرفيين في سبك المعادن وبتطعيمها بقطع من اللازورد والمعادن الثمينة والأصداف.

انتشر فن التطعيم والتنزيل في مدن كثيرة من بلاد الرافدين، وبالنسبة للأصداف المستخدمة في هذه الحرفة كانت تأتي من الخليج العربي لتزيين الأختام الأُسطوانية والأدوات الموسيقية والموبيليا وألعاب التسلية، أما العقيق فكان يتم استيراده من وادي السند، استخدم الحرفيون اللازورد أيضاً فقد كان يتم تصنيعه في ورش مدينة أور.

استخدم الحرفيون في هذه الفترة أنواعاً مختلفة من المعادن لصناعة العديد من القطع الفنية ومن هذه المعادن الذهب والفضة والنحاس والإلكتروم (خليط من الفضة والذهب)، ومن أهم القطع الفنية خوذة ميشكلام دوغ ومجوهرات الملكة بو آبي المصنوعة من الذهب والإناء الذي عُثِرَ عليه في تللو مصنوع من الفضة وتوجد عليه رسومات لحيوانات وكتابات مسمارية باللغة السومرية.

ج- اللوحات النذرية: تطور فن نحت اللوحات النذرية في هذه الفترة خاصةً فيما يتعلق بالموضوعات، بالإضافة إلى موضوع الوليمة المقدسة الشائع سابقاً ظهرت في هذه الفترة موضوعات جديدة كتقديم الأضاحي والأُعطيات للآلهة المتوجة، فهناك على سبيل المثال لوحة نذرية من موقع تللو تظهر شخصاً يقدم أعطية إلى آلهة النبات والجبل المتوجة.

وهناك لوحات أُخرى تناولت موضوعات جديدة كتلك التي تجسد صورة الحاكم الذي يشارك شخصياً في بناء معبد الإله، فقد عُثِرَ على هذا النوع من اللوحات في تللو والتي تعود إلى حاكم

مدينة لاجاش أورنانشي، تُظهر هذه اللوحة أورناتشي مع زوجته وأولاده وموظفي بلاطه وهم يشاركون في بناء معبد الإله.

د-الأنصاب: هي عبارة عن طريقة جديدة استخدمها الإنسان السومري لتخليد انتصاراته وأفضل مثال على هذا النوع نصب الصقور الذي نصبه ملك لاجاش نحو 2470ق.م ليخلد انتصاره على ملك مدينة أوما المجاورة، يبلغ ارتفاع هذا النصب 188سم وعرضه 130سم، يَظهر على الوجه الأمامي للوحة الإله نينجرسو المنتصر الأول في هذه المعركة وهو يمسك بيده اليسرى الأعداء كأسماك في شبكة ويمسك بيده اليمنى عصا لضرب الأسرى المحصورين في الشبكة على ما يبدو، يُظهر الوجه الخلفي للوحة مشاهد متعددة من المعركة، في الحقل العلوي يشاهد ملك لاجاش يقود مجموعة من المحاربين وكانوا يسيرون على جثث الأعداء الساقطين في المعركة، وفي الحقل السفلي نشاهد ملك لاجاش عائدا بعربته من المعركة وكانت تتبعه مجموعة من الجنود، وتُظهر اللوحة أيضاً جثث القتلى من الأعداء تهاجمها الطيور الجارحة.